تعليقات فضيلة الشيخ

صالح بن فوزان الفوزان

على كتاب

إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان

للإمام ابن القيم رحمه الله

«الشريط الحادي عشر»

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا مُحَمَّد وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد،

قال المؤلف رحمه الله تعالى.

المتن: فإن قيل: فقد وقع تسمية ذلك تكليفا فى القرآن كقوله: ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ [البقرة: ٢٨٦] وقوله: ﴿لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ [الأنعام: ١٥٢]

الشيخ: بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وأصحابه أجمعين.

على انتقاد الذين يصفون العبادات بأنها تكاليف شرعية، أو يقولون أن المراد من الصلاة رياضة البدن، تقويم البدن، والصيام لأجل الصحة وما أشبه ذلك، إن هذا كلام باطل، العبادات شرعت لأجل إصلاح القلوب، وطمأنينة النفوس، ولهذا المؤمنون يتلذذون بها ويفرحون بها، ولا يصيبهم منها تكليف أو مشقة، إن كان يصبهم منها كلفة أو مشقة هذا غير مقصود إنما المقصود حياة القلوب وزكاة النفوس، راحة القلوب، فالعبادات روح، سماها الله روح ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا﴾ [الشورى: ٥٢] روح وإيمان ويقين، إلى غير ذلك، فهؤلاء لم يذوقوا طعم العبادة ولهذا صاروا يسمونها بهذه الأسماء ولا ينظرون منها إلا إلى الجانب السلبي ولا ينظرون إلى الجانب الإيجابي العظيم.

تقدم كلام الشيخ على هذا ورده على هؤلاء، إلا أنه ذكر أن هناك شبهة لهم في قوله تعالى ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ [البقرة: ٢٨٦] ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَا آتَاهَا﴾ [الطلاق: ٧] أفلا يدل هذا على أن العبادات يقال لها تكاليف؟

أجاب عن هذا بأن هذا في مقام النفي ما هو في مقام الإثبات، ونحن نتكلم عن ما تثبته العبادات في القلوب والنفوس والأعمال.

المتن: فإن قيل: فقد وقع تسمية ذلك تكليفا فى القرآن كقوله تعالى: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ [البقرة: ٢٨٦] وقوله: ﴿لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ [الأنعام: ١٥٢]

قيل: نعم، إنما جاء ذلك في جانب النفي، ولم يسم سبحانه أوامره ووصاياه وشرائعه تكليفا قط، بل سماها روحا ونورا، وشفاء وهدى ورحمة، وحياة، وعهدا، ووصية، ونحو ذلك.

الشيخ: الله سمى العبادات بهذه الأسماء ولم يسمها بأنها تكاليف.

المتن: الوجه الرابع: أن أفضل نعيم الآخرة وأجله وأعلاه على الإطلاق هو النظر إلى وجه الرب ﷻ.

الشيخ: المؤمنون لما تلذذوا بعبادة الله في الدنيا، وآمنوا بالله وارتاحوا من الشكوك والأوهام، وفي الآخرة يدخلون الجنة ويتنعمون فيها بنعيم لا يوصف، مالا عين رات ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾﴾ [السجدة: ١٧] لكن فيه ما هو أعظم من الجنة وأعظم من النعيم وهو النظر إلى وجه الله الكريم في الدار الآخرة، فالله يتجلى لهم وينظرون إليه وتقر أعينهم به فينسون ماهم فيه من نعيم الجنة ويتلذذون برؤية اللهسبحانه وتعالى الذي آمنوا به في الدنيا ولم يروه؛ لكن رأوا آياته وبيناته ودلائله، والله يتجلى لهم في الآخرة ويمنحهم قوة يقدرون فيها على رؤية الله، والتنعم به وبرؤيته سبحانه، فهذا أعظم النعيم.

المتن: الوجه الرابع: أن أفضل نعيم الآخرة وأجله وأعلاه على الإطلاق هو النظر إلى وجه الرب ﷻ

الشيخ: قال تعالى ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾﴾ [القيامة: ٢٢] من النضرة، ﴿إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾﴾ [القيامة: ٢٣] من النظر، فهي ناضرة في نعيمها عليها نضرة وسرور وجمال، وأعظم من ذلك أنها إلى ربها ناظرة، تنظره تتنعم برؤيته سبحانه وتعالى، وقال جل وعلا: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ﴾ يعني الجنة

﴿وَزِيَادَةٌ ﴿٢٦﴾﴾ [يونس: ٢٦] الزيادة كما في صحيح مسلم هي النظر إلى وجه الله سبحانه وتعالى، ﴿لَهُم مَّا يَشَاءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ ﴿٣٥﴾﴾ [ق: ٣٥] هذا هو النظر إلى وجه سبحانه وتعالى.

المتن: أن أفضل نعيم الآخرة وأجله وأعلاه على الإطلاق هو النظر إلى وجه الرب ﷻ، وسماع خطابه.

الشيخ: سماع كلامه، يكلمهم سبحانه ويسلم عليهم،فيقول السلام عليكم يا أهل الجنة، فيقولون اللهم أنت السلام ومنك السلام تباركت ياذا الجلال والإكرام.

المتن: كما في صحيح مسلم عن صهيب رضي الله عنه عن النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم قال: "إذا دخل أهل الجنة الجنة نادى مناد: يا أهل الجنة إن لكم عند الله موعدا يريد أن ينجزكموه، فيقولون: ما هو؟ ألم يبيض وجوهنا، ويثقل موازيننا، ويدخلنا الجنة، ويُجرنا من النار؟

قال: فيكشف الحجاب، فينظرون إليه، فما أعطاهم شيئا أحب إليهم من النظر إليه".

الشيخ: يكشف الحجاب الذي بينهم وبين ربهم، فينظرون إليه لأن الله حجابه النور، يكشفه لهم وينظرون إليه نظر عيان.

المتن: فينظرون إليه، فما أعطاهم شيئا أحب إليهم من النظر إليه وفي حديث آخر: "فلا يلتفتون إلى شيء من النعيم ما داموا ينظرون إليه" فبين النبي ﷺ أنهم مع كمال تنعمهم بما أعطاهم ربهم في الجنة، لم يعطهم شيئا أحب إليهم من النظر إليه سبحانه، وإنما كان ذلك أحب إليهم لأن ما يحصل لهم به من اللذة والنعيم والفرح والسرور وقرة العين، فوق ما يحصل لهم من اللذة والنعيم والتمتع بالأكل والشرب والحور العين، ولا نسبة بين اللذتين والنعيمين البتة.

ولهذا قال سبحانه في حق الكفار: ﴿كَلَّا إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ﴿١٥﴾﴾ [المطففين: ١٥]

الشيخ: نعم الله حرم الكفار من هذه الرؤية، حرمهم منها لما لم يؤمنوا به في الدنيا وكفروا به عاقبهم الله جل وعلا بأن حرمهم من رؤيته يوم القيامة ﴿كَلَّآ إِنَّهُمۡ عَن رَّبِّهِمۡ يَوۡمَئِذٖ﴾ يعني يوم القيامة ﴿لَّمَحۡجُوبُونَ ١٥﴾ لا يرون الله سبحانه وتعالى إهانة لهم وجزاء على كفرهم به.

المتن: ولهذا قال سبحانه وتعالى في حق الكفار: ﴿كَلَّآ إِنَّهُمۡ عَن رَّبِّهِمۡ يَوۡمَئِذٖ لَّمَحۡجُوبُونَ ١٥ ثُمَّ إِنَّهُمۡ لَصَالُواْ ٱلۡجَحِيمِ ١٦﴾ [المطففين: ١٥ – ١٦]

الشيخ: نعم فهم محجوبون عن الله ومقرهم النار، أما المؤمنون فإمنهم يرون ربهم ومقرهم الجنة، فرق بين هذا وهذا.

ثم يقال ﴿ثُمَّ يُقَالُ هَٰذَا﴾ يعني هذا الجحيم ﴿ٱلَّذِي كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ ١٧﴾ [المطففين: ١٧] به في الدنيا، وتقولون ما فيه جنة ولا فيه نار ولا فيه بعث؛ بل ما فيه بعث ينكرون البعث، يقولون أن الموت هو النهاية وما فيه بعث بعده.

المتن: فجمع عليهم نوعي العذاب: عذاب النار، وعذاب الحجاب عنه سبحانه، كما جمع لأوليائه نوعي النعيم: نعيم التمتع بما في الجنة. ونعيم التمتع برؤيته سبحانه، وذكر سبحانه هذه الأنواع الأربعة في هذه السورة فقال في حق الأبرار: ﴿إِنَّ ٱلۡأَبۡرَارَ لَفِي نَعِيمٍ ٢٢ عَلَى ٱلۡأَرَآئِكِ يَنظُرُونَ ٢٣﴾ [المطففين: ٢٢ – ٢٣].

الشيخ: ﴿عَلَى ٱلۡأَرَآئِكِ يَنظُرُونَ ٢٣﴾ ينظرون إلى إيش؟ إلى الله سبحانه وتعالى.

المتن: : ﴿عَلَى ٱلۡأَرَآئِكِ يَنظُرُونَ ٢٣﴾ وهضم معنى الآية من قال: ينظرون إلى أعدائهم يعذبون، أو ينظرون إلى قصورهم وبساتينهم، أو ينظر بعضهم إلى بعض، وكل هذا عدول عن المقصود إلى غيره، وإنما المعنى ينظرون إلى وجه ربهم، ضد حال الكفار الذين هم عن ربهم محجوبون: ﴿ثُمَّ إِنَّهُمۡ لَصَالُواْ ٱلۡجَحِيمِ ١٦﴾ [المطففين: ١٦] وتأمل كيف قابل سبحانه ما قاله الكفار في أولياءه في الدنيا وسخروا به منهم، بضده في القيامة.

الشيخ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ أَجۡرَمُواْ كَانُواْ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يَضۡحَكُونَ ٢٩ وَإِذَا مَرُّواْ بِهِمۡ يَتَغَامَزُونَ ٣٠ وَإِذَا ٱنقَلَبُوٓاْ إِلَىٰٓ أَهۡلِهِمُ ٱنقَلَبُواْ فَكِهِينَ ٣١﴾ [المطففين: ٢٩ – ٣١]

فرحين بما قالوه في المؤمنين، وآذوهم وسخروا منهم، يفرحون بهذا، فالله جل وعلا جازاهم في الآخرة، لأن المؤمنين ﴿فَٱلْيَوْمَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ يعني في الجنة يوم القيامة ﴿فَٱلْيَوْمَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنَ ٱلْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ ﴿٣٤﴾﴾ ينظرون إليهم وهم يعذبون ويضحكون منهم، إحتقارا لهم، وهذا الجزاء من جنس العمل ﴿فَٱلْيَوْمَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنَ ٱلْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ ﴿٣٤﴾ عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ يَنظُرُونَ ﴿٣٥﴾ هَلْ ثُوِّبَ ٱلْكُفَّارُ مَا كَانُواْ يَفْعَلُونَ ﴿٣٦﴾﴾ [المطففين: ٣٤ – ٣٦]

ينظرون إلى أعدائهم في النار، وما يجري لهم من العذاب، الذين كانوا يؤذونهم في الدنيا ويسخرون منهم ويضحكون من رؤيتهم، ويقولون إن هؤلاء لضالون، يصفون المؤمنين بالضلال، يقولون مساكين ما يدرون يضيعون أنفسهم ضالون ماهم على طريق، كذا يقولون في حق المؤمنين.

المتن: وتأمل كيف قابل سبحانه ما قاله الكفار في أولياءه في الدنيا وسخروا به منهم، بضده في القيامة فإن الكفار كانوا إذا مر بهم المؤمنون يتغامزون ويضحكون منهم ﴿وَإِذَا رَأَوْهُمْ قَالُوٓاْ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ لَضَآلُّونَ ﴿٣٢﴾﴾[المطففين: ٣٢]. قال تعالى: ﴿فَٱلْيَوْمَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنَ ٱلْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ ﴿٣٤﴾﴾[المطففين: ٣٤].

الشيخ: اليوم في من يقول إن المسلمين ماهم على شيء ضايعين، ما عندهم حضارة ولا رقي، والكفار عندهم الرقي والحضارة، يحتقر المسلمين، هذا نفس الشيء، إن هؤلاء لضالون.

المتن: قال تعالى: ﴿فَٱلْيَوْمَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنَ ٱلْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ ﴿٣٤﴾﴾ مقابلة لتغامزهم وضحكهم منهم، ثم قال: ﴿عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ يَنظُرُونَ ﴿٣٥﴾﴾ [المطففين: ٣٥] فأطلق النظر، ولم يقيده بمنظور دون منظور، وأعلى ما نظروا إليه وأجله وأعظمه هو الله سبحانه وتعالى.

الشيخ: ﴿فَٱلْيَوْمَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنَ ٱلْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ ﴿٣٤﴾﴾ هذه واحدة، ﴿عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ يَنظُرُونَ ﴿٣٥﴾﴾ إلى أي شيء؟ينظرون إلى وجه الله سبحانه وتعالى، وينظرون إلى

أعدائهم في الجحيم،وما يلاقونه من العذاب أيهم اللي صار ضال؟ المؤمنون ولا الكفار؟ الله وضح هذا لهم.

المتن: وأعلى ما نظروا إليه وأجله وأعظمه هو الله سبحانه والنظر إليه أجل أنواع النظر وأفضلها.

الشيخ: فهم ينظرون إلى وجه الله، هذا أعلى شيء، ينظرون إلى ما لهم من النعيم والقصور في الجنة والأنهار، ينظرون إلى أعدائهم الذين يضحكون منهم في الدنيا ويسخرون منهم، ينظرون إليهم ويضحكون مما أصابهم من العذاب{﴿فَٱلْيَوْمَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنَ ٱلْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ ﴿٣٤﴾ عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ يَنظُرُونَ ﴿٣٥﴾ هَلْ ثُوِّبَ ٱلْكُفَّارُ مَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ ﴿٣٦﴾﴾ [المطففين: ٣٤ – ٣٦]

هل جوزي الكفار على ما فعلوا في الدنيا؟ نعم، فالاستفهام هنا استفهام تقرير، يعني قد جوزي الكفار بما كانوا يفعلون في الدنيا

المتن: وأعلى ما نظروا إليه وأجله وأعظمه هو الله سبحانه والنظر إليه أجل أنواع النظر وأفضلها وهو أعلى مراتب الهداية، فقابل بذلك قولهم: ﴿إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ لَضَآلُّونَ ﴿٣٢﴾﴾

الشيخ: المسلمين ماهم على طريق ضايعين، وماهم على شيء، الكفار أرقى منهم، الكفار يقولون أرقى من المسلمين، أخذوا بأسباب الرقي والحضارة..إلخ، ولا يدرون أن هذا استدراج لهم وإمهال لهم ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَنَّمَا نُمْلِى لَهُمْ خَيْرٌ لِّأَنفُسِهِمْ ۚ إِنَّمَا نُمْلِى لَهُمْ لِيَزْدَادُوٓا۟ إِثْمًا ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿١٧٨﴾﴾ [آل عمران: ١٧٨]

نعم الإسلام لا يحرم الحضارة النافعة، ولا يحرم الرقي النافع، يحس على هذا فإن حصل تقصير فهو من المسلمين أنفسهم ليس من الإسلام، الإسلام يحثهم على الأخذ بالأسباب النافعة وعلى الصناعة ﴿وَأَعِدُّوا۟ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾[الأنفال: ٦٠]﴿خُذُوا۟ حِذْرَكُمْ﴾[النساء: ٧١]

الله أمر المؤمنين باتخاذ الأسباب، أمرهم بأخذ المتعة المباحة من هذه الديا، الله جل وعلا لم يحرم على المؤمنين هذه المنافع، أصلا هي مخلوقة للمؤمنين ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ [الأعراف: ٣٢] في الدنيا يشاركهم الكفار فيها، والأصل أنها للمسلمين، أما في الآخرة فلا نصيب للكفار فيها، يحرمون منها.

المتن: والنظر إليه أجل أنواع النظر وأفضلها وهو أعلى مراتب الهداية، فقابل بذلك قولهم: ﴿إِنَّ هَؤُلَاءِ لَضَالُّونَ ﴿٣٢﴾﴾ فالنظر إلى الرب سبحانه مراد من هذين الموضعين ولا بد، إما بخصوصه، وإما بالعموم والإطلاق، ومن تأمل السياق لم يجد الآيتين تحتملان غير إرادة ذلك، خصوصا أو عموما.

فصل:في أن لذة النظر إلى وجه الله يوم القيامة تابعة للتلذذ بمعرفته ومحبته في الدنيا

وكما أنه لا نسبة لنعيم ما في الجنة إلى نعيم النظر إلى وجه الأعلى سبحانه، فلا نسبة لنعيم الدنيا إلى نعيم محبته ومعرفته والشوق إليه والأنس به.

الشيخ: المؤمنون حتى في الدنيا في نعيم، في راحة قلب، في راحة نفوس، في إيمان، فهم في نعيم في الدنيا، بخلاف الكفار وإن كانوا عندهم أبهة وزينة من زينة الدنيا فإن قلوبهم مظلمة، موحشة، قلوبهم ما فيها طمأنينة، ما فيها راحة، فيها قلق، ولذلك تشوف هذا على وجوههم، تشوف وجوه المؤمنين عليها نور وعليها بهاء، تشوف وجوه الكفار مظلمة، ولا عندهم فرح ولا سرور، هذا شيء مشاهد ومرئي.

المتن: بل لذة النظر إليه سبحانه تابعة لمعرفتهم به ومحبتهم له، فإن اللذة تتبع الشعور والمحبة؛ فكلما كان المحب أعرف بالمحبوب، وأشد محبة له كان التذاذه بقربه ورؤيته ووصوله إليه أعظم.

الوجه الخامس: أن المخلوق ليس عنده للعبد نفع ولا ضُر، ولا عطاء ولا منع، ولا هدى ولا ضلال، ولا نصر ولا خِذلان، ولا خفض ولا رفع، ولا عز ولا ذل، بل الله وحده هو الذي يملك له ذلك كله.

الشيخ: المخلوق عاجز وليس عنده ما يبذله لغيره، هو مشغول بنفسه، فقير إلى الله عز وجل، مخلوق ضعيف فقير ما عنده شيء، ولذلك من يتعلق على المخلوق فقد تعلق على عاجز لا ينفع ولا يضر، ﴿وَلَا يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ نَصْرًا وَلَا أَنفُسَهُمْ يَنصُرُونَ ﴿١٩٢﴾﴾ [الأعراف: ١٩٢]

عاجزين، خلاف الذي يتعلق بالله عز وجل ويطلب من الله ويرجوا الله، فهذا تعلق على الغني الحميد الكريم سبحانه وتعالى.

المتن: أن المخلوق ليس عنده للعبد نفع ولا ضُر، ولا عطاء ولا منع، ولا هدى ولا ضلال، ولا نصر ولا خِذلان، ولا خفض ولا رفع، ولا عز ولا ذل، بل الله وحده هو الذي يملك له ذلك كله.

الشيخ: على المسلم أن يعلق قلبه بالله، "إِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلْ اللَّهَ وَإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ وَاعْلَمْ أَنَّ الْأُمَّةَ لَوْ اجْتَمَعَتْ عَلَى أَنْ يَنْفَعُوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَنْفَعُوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ لَكَ وَلَوْ اجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَضُرُّوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَضُرُّوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ عَلَيْكَ".

الأمور بيد الله سبحانه وتعالى، علق قلبك بالله ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾ [الطلاق: ٣] أي كافيه،كافي كل ما يهمه، ومن يتوكل على المخلوق ضاع، تعلق على عاجز أضعف منه.

المتن: بل الله وحده هو الذي يملك له ذلك كله قال تعالى: ﴿مَّا يَفْتَحِ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا ۖ وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُ مِن بَعْدِهِ ۚ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٢﴾﴾ [فاطر: ٢]

الشيخ: لا أحد يقدر يمنع رحمة الله عن خلقه، ولا أحد يُنزِّل رحمة الله إذا أمسكها عن خلقه، الأمر بيد الله سبحانه وتعالى ﴿مَّا يَفْتَحِ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا ۖ وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُ مِن بَعْدِهِ ۚ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٢﴾﴾ لا ما نع لما أعطى ولا معطي لما منع.

وقال تعالى: ﴿وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ ۖ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَآدَّ لِفَضْلِهِۦ ۚ يُصِيبُ بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٠٧﴾﴾ [يونس: ١٠٧]

الشيخ: نعم ﴿وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ ۖ﴾ يمكن يقول واحد لا، الأطباء ها هم يعالجون الإنسان ويُشفى ويقوم؟

نقول الله كتب له ذلك، هذ سبب فقط، المخلوق سبب، ولذلك أحيانا يعجز الأطباء ويموت الإنسان بين أيديهم

﴿فَلَوْلَآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلْحُلْقُومَ ﴿٨٣﴾ وَأَنتُمْ حِينَئِذٍ تَنظُرُونَ ﴿٨٤﴾ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنكُمْ وَلَٰكِن لَّا تُبْصِرُونَ ﴿٨٥﴾ فَلَوْلَآ إِن كُنتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ ﴿٨٦﴾ تَرْجِعُونَهَآ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٨٧﴾﴾ [الواقعة: ٨٣ – ٨٧]

﴿تَرْجِعُونَهَآ﴾ يعني: الروح، إرجعوا الروح، إجمعوا أطباء الدنيا كلها خلهم يرجعون الروح، يأخذونها من الملك إذا قبضها ما يستطيعون، فما يحصل على يدي الأطباء من العلاج والأدوية هذا من الله، الله هو الذي أعطاهم هذا وسخرهم، وأحيانا لا تُنتج هذه الأدوية ولا هذا الطب ويموت الإنسان بين أيديهم، أو يصاب بعجز بين أيديهم ولا يستطيعون، فالأمر كله من الله عز وجل.

المتن: وقال تعالى: ﴿وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَآدَّ لِفَضْلِهِۦ ۚ يُصِيبُ بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٠٧﴾﴾ [يونس: ١٠٧]

وقال تعالى: ﴿إِن يَنصُرْكُمُ ٱللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ ۖ وَإِن يَخْذُلْكُمْ فَمَن ذَا ٱلَّذِى يَنصُرُكُم مِّنۢ بَعْدِهِۦ ۗ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١٦٠﴾﴾ [آل عمران: ١٦٠]

الشيخ: نعم النصر بيد الله ولكن القوة والجنود هذه أسباب قد تنفع بإذن الله وقد لا تنفع، فلا مانع بل يجب إعداد القوة وإعداد الجنود وأخذ الحذر ولكن لا نعتمد على هذا، نعتمد على الله، النصر بيد الله عز وجل، أنت تعمل الأسباب والنصر بيد الله ما هو بالأسباب التي معك. ﴿لَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ فِى مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْـًٔا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ أَنزَلَ ٱللَّهُ

سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَأَنزَلَ جُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا ﴾ [التوبة: ٢٥ – ٢٦] من الملائكة ﴿ وَجَعَلَ كَلِمَةَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلسُّفْلَىٰ ۗ وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ هِىَ ٱلْعُلْيَا ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٤٠﴾ ﴾ [التوبة: ٤٠]

الأمر بيد الله ، لا تعتمد على الأسباب، أنت خذ الأسباب النافعة لكن لا تعتمد عليها.

سأل رجل رسول الله ﷺ عن ناقته هل يعقلها أو يتوكل، قال له ﷺ: "إعقِلها وتوكَّلْ"، إعقلها بالعقال، وتوكل على الله عز وجل في حفظها، ما تقول أنا عاقل ناقتي وخلاص، قد يجي واحد يحل العقال أويقطعه، أو هي بعد تصير قوية وتقطع العقال وتروح، العقال ماهو اللي... لكن هو سبب من الأسباب.

وقال تعالى عن صاحب يس ﴿ ءَأَتَّخِذُ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً إِن يُرِدْنِ ٱلرَّحْمَٰنُ بِضُرٍّ لَّا تُغْنِ عَنِّى شَفَٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا وَلَا يُنقِذُونِ ﴿٢٣﴾ ﴾ [يس: ٢٣]

الشيخ: نعم صاحب يس الذي جاء من أقصى المدينة يسعى، لما كفر قومه وكذبوا الرسل جاء يسرع ﴿ وَجَآءَ مِنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَىٰ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱتَّبِعُوا۟ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٢٠﴾ ٱتَّبِعُوا۟ مَن لَّا يَسْـَٔلُكُمْ أَجْرًا وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٢١﴾ وَمَا لِىَ لَآ أَعْبُدُ ٱلَّذِى فَطَرَنِى وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢٢﴾ ءَأَتَّخِذُ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً إِن يُرِدْنِ ٱلرَّحْمَٰنُ بِضُرٍّ لَّا تُغْنِ عَنِّى شَفَٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا وَلَا يُنقِذُونِ ﴿٢٣﴾ إِنِّىٓ إِذًا لَّفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢٤﴾ إِنِّىٓ ءَامَنتُ بِرَبِّكُمْ فَٱسْمَعُونِ ﴿٢٥﴾ ﴾ [يس: ٢٠ – ٢٥]

قتلوه دخل الجنة ﴿ قِيلَ ٱدْخُلِ ٱلْجَنَّةَ ۖ قَالَ يَٰلَيْتَ قَوْمِى يَعْلَمُونَ ﴿٢٦﴾ بِمَا غَفَرَ لِى رَبِّى وَجَعَلَنِى مِنَ ٱلْمُكْرَمِينَ ﴿٢٧﴾ ﴾ [يس: ٢٦ – ٢٧]

لحظة دخل الجنة لأنه ختم له بالإيمان فدخل الجنة ﴿ قِيلَ ٱدْخُلِ ٱلْجَنَّةَ ۖ قَالَ يَٰلَيْتَ قَوْمِى يَعْلَمُونَ ﴿٢٦﴾ بِمَا غَفَرَ لِى رَبِّى وَجَعَلَنِى مِنَ ٱلْمُكْرَمِينَ ﴿٢٧﴾ ﴾

المتن: وقال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡۚ هَلۡ مِنۡ خَٰلِقٍ غَيۡرُ ٱللَّهِ يَرۡزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ فَأَنَّىٰ تُؤۡفَكُونَ ٣ ﴾[فاطر: ٣]

الشيخ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ﴾ هذا خطاب لجميع الناس، من بني آدم المؤمنين والكفار، الأولين والآخرين، ﴿ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡۚ ﴾ أذكروها، يعني لا تنسوا النعمة بل اذكروها في قلوبكم وفي ألسنتكم، واشكروها حتى تبقى لكم، أذكروها بالشكر، ﴿ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡۚ هَلۡ مِنۡ خَٰلِقٍ غَيۡرُ ٱللَّهِ ﴾ هل أحد يخلق مع الله عز وجل؟

مافيه أحد، كلاً يعرف حتى أبو جهل وأبو لهب وفرعون كلهم لا يثبتون أن هناك خالقاً مع الله سبحانه، الله هو المنفرد بالخلق، ﴿أَرُونِي مَاذَا خَلَقُواْ مِنَ ٱلۡأَرۡضِ ﴾ [الأحقاف: ٤]

ما جابوا شيء، ﴿أَمۡ لَهُمۡ شِرۡكٞ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِۖ ٱئۡتُونِي بِكِتَٰبٖ مِّن قَبۡلِ هَٰذَآ أَوۡ أَثَٰرَةٖ مِّنۡ عِلۡمٍ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ٤ ﴾ [الأحقاف: ٤]

تعجيز من الله عز وجل ﴿أَفَمَن يَخۡلُقُ كَمَن لَّا يَخۡلُقُۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ١٧ ﴾ [النحل: ١٧]

هم يعترفون أن آلهتهم لا تخلق وأن الخالق هو الله وحده، إذا لماذا لايعبدون الله وحده ويتركون عبادة الأصنام؟

﴿ هَلۡ مِنۡ خَٰلِقٍ غَيۡرُ ٱللَّهِ ﴾ لا، ما أحد يقول نعم فيه خالق مع الله، هؤلاء الكفار من أولهم إلى آخرهم والتحدي باقي، خلوا يجي واحد يقول نعم فيه خالق مع الله، ما قال هذا أحد أبدا، ولا عارض أحد هذا التحدي مع كفرهم وعنادهم.

﴿ يَرۡزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ ﴾ يعني: لا معبود بحق إلا الله إذاً ما دام كذا فالعبادة له سبحانه وتعالى ﴿لَآ إِلَٰهَ﴾ لا معبود بحق إلا هو سبحانه وتعالى، ﴿فَأَنَّىٰ تُؤۡفَكُونَ ٣ ﴾

المتن: وقال تعالى: ﴿أَمَّنْ هَٰذَا ٱلَّذِى هُوَ جُندٌ لَّكُمْ يَنصُرُكُم مِّن دُونِ ٱلرَّحْمَٰنِ ۚ إِنِ ٱلْكَٰفِرُونَ إِلَّا فِى غُرُورٍ ﴿٢٠﴾ أَمَّنْ هَٰذَا ٱلَّذِى يَرْزُقُكُمْ إِنْ أَمْسَكَ رِزْقَهُۥ ۚ بَل لَّجُّوا۟ فِى عُتُوٍّ وَنُفُورٍ ﴿٢١﴾﴾[الملك: ٢٠ – ٢١]

الشيخ: هذا تحدي ﴿أَمَّنْ هَٰذَا ٱلَّذِى هُوَ جُندٌ لَّكُمْ يَنصُرُكُم مِّن دُونِ ٱلرَّحْمَٰنِ ۚ﴾ ﴿إِن يَنصُرْكُمُ ٱللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ ۖ وَإِن يَخْذُلْكُمْ فَمَن ذَا ٱلَّذِى يَنصُرُكُم مِّنۢ بَعْدِهِۦ ۗ﴾[آل عمران: ١٦٠]

ولو معكم قوات الدنيا والأسلحة الفتاكة، إذا الله خذلهم ما يستطيعون أبدا، فالله جل وعلا يتحداهم في هذه الآيات ولم يجيبوا عنها ولن يجيبوا أبدا

﴿أَمَّنْ هَٰذَا ٱلَّذِى هُوَ جُندٌ لَّكُمْ يَنصُرُكُم مِّن دُونِ ٱلرَّحْمَٰنِ ۚ إِنِ ٱلْكَٰفِرُونَ إِلَّا فِى غُرُورٍ ﴿٢٠﴾ أَمَّنْ هَٰذَا ٱلَّذِى يَرْزُقُكُمْ إِنْ أَمْسَكَ رِزْقَهُۥ ۚ بَل لَّجُّوا۟ فِى عُتُوٍّ وَنُفُورٍ ﴿٢١﴾﴾ إن أمسك الرحمن رزقه فمن هو الذي يرزقكم ؟ ما أحد يرزقكم غير الله سبحانه وتعالى، إذا أمسك رزقه ما أحد يجيب رزق، تحدي من الله سبحانه وتعالى.

المتن: فجمع سبحانه بين النصر والرزق، فإن العبد مضطر إلى من يدفع عنه عدوه بنصره، ويجلب له منافعه برزقه، فلا بد له من ناصر ورازق.

الشيخ: لابد له من هذا؛ وهذا لايكون إلا من الله سبحانه وتعالى النصر والرزق.

المتن: والله وحده هو الذي ينصر ويرزق، فهو الرزاق ذو القوة المتين.

ومن كمال فطنة العبد ومعرفته: أن يعلم أنه إذا مسه الله بسوء لم يرفعه عنه غيره وإذا ناله بنعمة لم يرزقه إياها سواه.

الشيخ: نعم لا مانع لما أعطى ولا معطي لما منع، لو أعطاك الله ما أحد يمنعك أبدا ولا يستطيع، ولو منعك الله ما أحد يعطيك أبدا، هذا كله بيد الله، المنع والإعطاء بيد الله سبحانه وتعالى، وما يجري على أيدي الناس من المنع أوالعطاء إنما هو سبب من الأسباب، الله هو الذي قدره لك على أيديهم، هو الذي قدره وساقه على أيديهم.

المتن: ويذكر أن الله تعالى أوحى إلى بعض أنبيائه:"أدْرِكْ لِي لَطِيفَ الْفِطْنَةِ، وَخَفِي اللُّطْفِ، فَإِنِّي أُحِبُّ ذلِكَ.

قَالَ: يَا رب وَمَا لَطِيفُ الْفِطْنَةِ؟ قَالَ: إِنْ وَقَعَتْ عَلَيْكَ ذُبَابَةٌ فَاعْلَمْ أَنِّي أَنَا أَوْقَعْتُهَا فَاسْأَلْنِي أَرْفَعْهَا.

الشيخ: حتى الذباب ما تقدر تمتنع منه ﴿وَإِن يَسْلُبْهُمُ ٱلذُّبَابُ شَيْـًٔا لَّا يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ ۚ ضَعُفَ ٱلطَّالِبُ وَٱلْمَطْلُوبُ ﴿٧٣﴾﴾ [الحج: ٧٣]

الذباب إذا تسلط عليك يزعجك، حتى ما يخليك تنام، ولا يخليك تستقر، وهو ذباب لو يسلطه الله عليك سيقلقك عن فراشك وعن نومك، يقولون الذباب يطير من فوق العذرة ويقع على أنف الملك ولا يقدر يمنعه، دليل على عجز الإنسان.

المتن: قَالَ: وَمَا خَفِي اللُّطْفِ؟ قَالَ: إِذَا أَتَتْكَ حَبَّةٌ فَاعْلَمْ أَنِّي أَنَا ذَكَرْتُكَ بِهَا" وقد قال تعالى عن السحرة: ﴿وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِۦ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ﴾ [البقرة: ١٠٢]

الشيخ: السحر يضر ويقتل لكن بإذن الله عز وجل، فتوكل على الله ولن يضرك السحرة، السحرة ما يضرونك إذا توكلت على الله عز وجل وإلا السحر ضار وقاتل.

المتن: فهو سبحانه وحده الذي يكفي عبده وينصره ويرزقه ويكلؤه.

قال الإمام أحمد: حدثنا عبد الرزاق أخبرنا عمران قال: سمعت وهباً يقول:

الشيخ: يعني وهب بن منبه هذا من أحبار اليهود أسلم في اليمن.

قال: سمعت وهباً يقول: قال الله تعالى في بعض كتبه:"بِعِزَّتِي، إِنَّهُ مَنِ اعْتَصَمَ بِي، فَإِنْ كادَتْهُ السَّمواتُ بِمَنْ فِيهِنَّ، وَالأَرَضُونَ بِمَنْ فِيهِنَّ، فَإِنِّي أَجْعَلُ لَهُ مِنْ ذلِكَ مَخْرَجاً.

الشيخ: لا تستطيع السموات والأرض ومن فيهن أن يكيدوا لأحد إلا بإذن الله، مثل حديث ابن عباس: « وَاعْلَمْ أَنَّ الْأُمَّةَ لَوْ اجْتَمَعَتْ عَلَى أَنْ يَنْفَعُوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَنْفَعُوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ لَكَ وَلَوْ اجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَضُرُّوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَضُرُّوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ عَلَيْكَ»

المتن: وَمَنْ لَمْ يَعْتَصِمْ بِي، فَإِنِّي أَقْطَعُ يَدَيْهِ مِنْ أَسْبَابِ السَّمَاءِ وَأَخْسِفُ بِهِ مِنْ تَحْتِ قَدَمَيْهِ الأَرْضَ، فَأَجْعَلُهُ فِي الْهَوَاءِ، ثُمَّ أَكِلُهُ إِلَى نَفْسِهِ، كَفِيَّ لِعَبْدِي مَلأى، إِذَا كَانَ عَبْدِي فِي طَاعَتِي أَعْطِيه قَبْلَ أَنْ يَسْأَلَنِي، وَأَسْتَجِيبُ لَهُ قَبْلَ أَنْ يَدْعُوَنِي، فإِنِّي أَعْلَمُ بِحَاجَتِهِ الَّتِي تَرْفُقُ بِهِ مِنْهُ".

قال أحمد: وحدثنا هاشم بن القاسم حدثنا أبو سعيد المؤدِب، حدثنا من سمع عطاء الخراساني قال: لقيت وهبا بن منبه، وهو يطوف بالبيت، فقلت له: حدثني حديثا أحفظه عنك في مقامي هذا وأوجز، قال نعم: "أَوْحَى اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى إِلى دَاوُدَ عليه السلام: يَا دَاوُدُ، أَمَا وَعِزَّتِي وَعَظَمَتِي لا يَعْتَصِمُ بِي عَبْدٌ مِنْ عَبِيدِي دُونَ خَلْقِي - أَعْرِفُ ذلِكَ مِنْ نِيتِهِ - فَتَكِيدُهُ السَّمواتُ السَّبْعُ وَمَنْ فِيهِنَّ، وَالأَرَضُونَ السَّبْعُ وَمَنْ فِيهِنَّ إِلا جَعَلْتُ لَهُ مِنْ بَيْنِهِنَّ مَخْرَجا؛ أَمَا وَعِزَّتِي وَعَظَمَتِي لا يَعْتَصِمُ عَبْدٌ مِنْ عِبَادِي بِمَخْلُوقٍ دُونِي - أَعْرِفُ ذلِكَ مِن نِيَّتِهَ- إِلا قَطَعْتُ أسبابَ السَّماءِ مِنْ يدِه، وَأَسَخْتُ له الأَرْضَ مِنْ تَحْتِ قَدَمَيْهِ، ثُم لا أُبَالِي بِأَي وَادٍ هَلَكَ".

الشيخ: هذا مثل قوله تعالى ﴿وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ۚ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ ۚ إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ ۚ﴾ [الطلاق: ٣]

ومن توكل على الله كفاه؛ لكن التوكل بالقلب ماهو باللسان، تقول توكلت على الله باللسان فقط ؟

تقول بالقلب حتى لو ما قلت بلسانك إذا توكلت على الله بقلبك الله يكفيك سبحانه وتعالى.

المتن: وهذا الوجه أظهر للعامة من الذي قبله؛ ولهذا خوطبوا به في القرآن أكثر من الأول ومنه دعت الرسل إلى الوجه الأول.

وإذا تدبر اللبيب القرآن وجد الله سبحانه يدعو عباده بهذا الوجه إلى الوجه الأول، وهذا الوجه يقتضي التوكل على الله تعالى والاستعانة به، ودعاءه ومسألته دون ما سواه.

الشيخ: لكن لاحظوا إنه ما يكفي التوكل على الله بدون أخذ الأسباب، لازم من الجمع بين أخذ الأسباب النافعة مع التوكل على الله، فلا تعتمد على السبب وتترك التوكل على الله ولا تعتمد على التوكل على الله وتترك الأسباب، الله أمر بالأخذ بالأسباب مع التوكل عليه سبحانه وتعالى لابد من الدمع بين الأمرين.

المتن: ويقتضى أيضا: محبته وعبادته، بإحسانه إلى عبده، وإسباغ نعمه عليه، فإذا أحبوه وعبدوه وتوكلوا عليه من هذا الوجه دخلوا منه إلى الوجه الأول.

ونظير ذلك: من ينزل به بلاء عظيم، أو فاقة شديدة، أو خوف مقلق، فجعل يدعو الله سبحانه ويتضرع إليه، حتى فتح له من لذيذ مناجاته وعظيم الإيمان به، والإنابة إليه ما هو أحب إليه من تلك الحاجة التي قصدها أولا، ولكنه لم يكن يعرف ذلك أولا حتى يطلبه، ويشتاق إليه.

الشيخ: المصائب والشدائد قد يكون فيها خير للإنسان أن يلجأ إلى الله ويتضرع إليه ويدعوه ثم يجد في قلبه بعد ذلك محبة للدعاء ومحبة للتضرع إلى الله، ويكون في ذلك خيره ﴿وَعَسَىٰٓ أَن تَكۡرَهُواْ شَيۡـٔٗا وَهُوَ خَيۡرٞ لَّكُمۡۖ﴾ [البقرة: ٢١٦]

وفي نحو ذلك قال القائل:

جَزَى الله يَوْمَ الرَّوْعِ خَيْرًا فَإِنَّه *** أَرَانَا عَلَى عِلاتِهِ أُمَّ ثَابِتِ

أَرَانَا مَصُونَاتِ الْحِجابِ وَلَمْ تَكُنْ *** نَرَاهنَّ إلا عِنْدَ نَعْتِ النَّوَاعِتِ

الشيخ:

جزى الله الشدائد كل خير بهن عرفت عدوي من صديقي

بالشدائد تعرف عدوك من صديقك، إذا أصابتك شدة، وقت الرخاء كل الناس أصدقاء، لكن إذا جاءت الشدة لا يبقى إلا أهل الصدق معك وأهل الأخوة الصادقة، وقال الشاعر

وما أكثر الأخوان حين تعدهم ولكنهم في النائبات قليل

في النائبات قليل؛ لكن وقت الرخاء ماشاء الله الناس كلهم أصدقاء لك.

المتن: الوجه السادس: أن تعلق العبد بما سوى الله تعالى مضرة عليه، إذا أخذ منه فوق القدر الزائد على حاجته، غير مستعينٍ به على طاعته، فإذا نال من الطعام والشراب والنكاح واللباس فوق حاجته ضره ذلك، ولو أحب سوى الله ما أحب، فلا بد أن يُسلبه ويفارقه.

الشيخ: في الأثر أن الله جل وعلا قال لمحمد ﷺ يا مُحَمَّد "يَا مُحَمَّدُ أَحْبِبْ مَنْ شِئْتَ ؛ فَإِنَّكَ مُفَارِقُه ، وَاعْمَلْ مَا شِئْتَ ؛ فَإِنَّكَ مَجْزِيٌّ بِهِ ، وَعِشْ مَا شِئْتَ ؛ فَإِنَّكَ مَيِّتٌ ، وَاعْلَمْ أَنَّ شَرَفَ الْمُؤْمِنِ قِيَامُهُ بِاللَّيْلِ ، وَعِزَّهُ اسْتِغْنَاؤُهُ عَنِ النَّاسِ" كلمة عظيمة

المتن: ولو أحب سوى الله ما أحب، فلا بد أن يُسلبه ويفارقه فإن أحبه لغير الله فلا بد أن تضره محبته ويعذب بمحبوبه، إما في الدنيا وإما في الآخرة.

الشيخ: لذلك الحب في الله والبغض في الله أوثق عُرى الإيمان.

المتن: ولو أحب سوى الله ما أحب، فلا بد أن يُسلبه ويفارقه فإن أحبه لغير الله فلا بد أن تضره محبته ويعذب بمحبوبه، إما في الدنيا وإما في الآخرة، والغالب أنه يعذب به في الدارين، قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يَكۡنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلۡفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَبَشِّرۡهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٖ ٣٤﴾ [التوبة: ٣٤]

الشيخ: يكنزون الذهب والفضة وإيش معنى ﴿يَكۡنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلۡفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ ؟ يعني لا يخرجون الزكاة.

ما هو المراد أنهم ينفقون الأموال كلها؟ لا؛ المراد بينفقون: يخرجون الزكاة، الذي يبخل في الزكاة هذا مآله والعياذ بالله.

﴿يَوۡمَ يُحۡمَىٰ عَلَيۡهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكۡوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمۡ وَجُنُوبُهُمۡ وَظُهُورُهُمۡۖ هَٰذَا مَا كَنَزۡتُمۡ لِأَنفُسِكُمۡ فَذُوقُواْ مَا كُنتُمۡ تَكۡنِزُونَ ٣٥﴾ [التوبة: ٣٥]

منعهم حب المال من اخراج الزكاة فصار حب المال عذابا عليهم، اللي يحبونه صار عذاب عليهم، الله لم يأمرك بأنك تنفق مالك كله؟

أمرك بأن تخرج الزكاة ربع العشر، نصف العشر، العشر، سهم قليل، فإذا أخرجته فقد أنفقته في سبيل الله عز وجل.

وقال تعالى: ﴿فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ ۚ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ بِهَا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنْفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ ﴿٥٥﴾﴾ [التوبة: ٥٥]

الشيخ: هذا في المنافقين والعياذ بالله.

المتن: ولم يُصب من قال: إن الآية على التقديم والتأخير، كالجُرجاني، حيث قال: ينتظم قوله: ﴿فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ بعد فصل آخر ليس بموضعه على تأويل: ﴿فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ ۚ﴾ في الحياة الدنيا ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ بِهَا﴾ في الآخرة.

الشيخ: لا، يعذبهم بها في الدنيا قبل الآخرة، يعذبهم بأموالهم وأولادهم في الدنيا قبل الآخرة.

المتن: وهذا القول يروى عن ابن عباس رضي الله عنهما. وهو منقطع.

واختاره قتادة وجماعة، وكأنهم لما أشكل عليهم وجه تعذيبهم بالأموال والأولاد في الدنيا، وأن سرورهم ولذتهم ونعيمهم بذلك، فروا إلى التقديم والتأخير.

الشيخ: نقف على هذا الأثر والكلام عليه.